﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

دعـــاء الله بالوقاية من الزّيغ والفساد، والإقرار بملكه للمصاير يوم الحساب

"لَمَّا سَأَلُوهُ تَعَالَى أَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ الْهِدَايَةِ، وَكَانَتْ ثَمَرَةُ انْتِفَاءِ الزَّيْغِ وَالْهِدَايَةِ إِنَّمَا تَظْهَرُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْبَعْثِ فِيهِ لِلْمُجَازَاةِ، وَأَنَّ اعْتِقَادَ صِحَّةِ الْوَعْدِ بِهِ هُوَ الَّذِي هَدَاهُمْ إِلَى سُؤَالِ أَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَهُمْ"[1]، وَقد اسْتَحْضَرُوا عِنْدَ طَلَبِ الرَّحْمَةِ، الظّرف الزّمانيّ الّذي سيكونون أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى الرّحمة فيه، وَهُوَ يَوْم يكُونُ وجودُها سَبَبًا لِلْفَوْزِ الْأَبَدِيِّ في الآخرة، وحجبها سببا في الهلاك، فَأَعْقَبُوا بِذِكْرِ هَذَا الْيَوْمِ المهُول، دُعَاءَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ، بأن قَالُوا: وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَخَاصَّةً يَوْمَ تَجَمُّعِ النَّاسِ في ذلك المحشر العظيم[2].

❁ شَرْحُ الْمُفْرَداتِ:

1) ﴿جَامِعُ﴾: من الجمع، وهو ضمُّ شيء بتقريب بعضه إلى بعض، والمراد: إقرار بالبعث ليوم القيامة[3]، يجمعهم لحسابهم يوم البعث، والجامع: من أسماء الله الحسنى[4]، واليوم الآخر لا ينبغي لمؤمن أن يرتاب فيه، لأنّه وعد الله الّذي وعد به المتّقين، ونذيره الّذي أنذر به الجاحدين الضّالين، والله سبحانه وتعالى لَا يخلف الميعاد، في الدّنيا ولا يوم المعاد[5].

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/33، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/150.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/171.
(3) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/405.
(4) أبو جيب، القاموس الفقهيّ، ص: 66.
(5) أبوزهرة، زهرة التّفاسير: 2/1119.

2) ﴿لَا رَيْبَ﴾: من الرَّيب، وهو الشَّكُّ، والظَّنُّ، والتُّهمة، والرَّيب ما رابك من أمرٍ، ويقال: أرابني كذا، ورابني، فالرَّيب أن تتوهَّم بالشّيء أمرًا ما، فينكشف عمَّا تتوهَّمه، " يقال: را بني فلان، إذا علمت منه الرّيبة.وأرابني: أوهمني الرّيبة؛ وأنشد أبو زيد:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ وَإِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ جَانِبُهْ

وهذا قول أبي زيد.وفي الأخبار عن الأصمعيّ: رابني فلان يريبني، إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه"[1].

3) ﴿ٱلْمِيعَادَ﴾: هو الوَعْدُ، ويكون في الخير والشَّرِّ، يقال: وَعَدْتُهُ بنفع وضرٍّ وَعْدًا ومَوْعِدًا ومِيعَادًا[2]، الْمِيعاد: مفعال من الوعد[3]، و(وَعَدَ): كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ أَعِدُهُ وَعْدًا[4]، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ، فَأَمَّا الْوَعِيدُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِشَرٍّ، يَقُولُونَ: أَوْعَدْتُهُ بِكَذَا، قَال الشّاعر:

وَإِنِّي وَإِنْ وَاعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ***لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الإقرار بأنّ الله جامع النّاس ليوم القيامة، بيقين لا يشُوبُه ريب

يبيِّن الله في هذه الآية بقيَّة دعاء الرَّاسخين في العلم، "لمَّا طلبوا من ربِّهم الصَّوْنَ عن الزَّيغ، وأن يخصَّهم بالهداية والرَّحمة، فكأنَّهم قالوا: ليس الغرض من هذا السُّؤال ما يتعلَّق بمصالح الدُّنيا؛ فإنَّها منقضية، وإنَّما الغرض الأعظم منه ما يتعلَّق بالآخرة؛ فإنَّا نعلم أنَّك جامع النَّاس للجزاء في يوم القيامة، ووعدك حقٌّ، فمن زاغ قلبه؛ بقي هناك في العذاب أبَدَ الآبادِ، ومن وفَّقتَه وهديتَه ورحمتَه؛ بقي هناك في السَّعادة والكرامة أبد الآباد"[5]، وذلك وعدٌ غير مكذوب.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ريب).
(2) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/405.
(4) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: (وعد).
(5) ابن عادل، اللّباب: 5/47، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/150.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ تَكرارِ لفظ ﴿رَبَّنَآ﴾ في الآيةِ اللَّاحقةِ:

الـجَـمْـعُ بين دُعـاءَي الدُّنيا والآخـــرةِ هو كمالُ المقصودِ

تكرَّر لفظ ﴿رَبَّنَآ﴾؛ لإظهار الخضوع التامِّ، والتذلُّل لله ربِّ العالمين، ولإظهار الحاجة إلى الله، والاستغاثة به في هول يوم القيامة، ولطلب الرحمة في موقف الحساب، وجاء هذا الدُّعاء بعد الدُّعاءِ السَّابقِ؛ ليبيِّن أنَّ الغرض الأصليَّ عند الرَّاسخين، موصولٌ بالآخرة؛ لأنَّها هي الأعظم.

التَّأكيدُ بلفظ ﴿إِنَّكَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾:

دلَّ التَّأكيد بقولِه: ﴿إِنَّكَ﴾ على إثبات البعث، وفي ذلك ردٌّ على الذين ينكرون البعث، وفيه إشارة إلى إبطال مزاعم نصارى نجران في ألوهيَّة عيسى عليه السلام؛ لأنَّ الذي له القدرة على الجمع بعد البعث والإحياء هو الله، وفيه إشارة إلى بشريَّة عيسى؛ لأنَّه داخل في الجمع يوم القيامة.

دلالة اختيار لفظ ﴿جَامِعُ﴾ دون غيره من الألفاظِ:

اختير وصف ﴿جَامِعُ﴾؛ لأنَّ الجمع إنَّما يكون بعد البعث والإحياء، فيضمن ذلك إيمانَهم بالبعث، ومعنى جامع، "أَيْ: بَاعِثُهُمْ وَمُحْيِيهِمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ"[1].

نوع الإضافة في: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾:

الإضافةُ في قَوْله تَعَالَى: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾: "غَيْرُ مَحْضَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَالتَّقْدِيرُ: جَامِعٌ النَّاسَ"[2]، "وهو من إضافة الفاعل إلى المفعول"[3].

المبالغةُ في بيانِ شَأْنِ القيامةِ

دلالةُ الإيجازِ بحذفِ المضافِ في قوله: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾:

لَمَّا كان جمع النَّاس يوم القيامةِ للحساب والجزاء لا لليوم؛ فكان

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/21، والقنّوجي، فتح البيان: 2/192.
(2) العكبري، التبيان: 1/240.
(3) القنّوجي، فتح البيان: 2/192.

هناك تقدير محذوفٍ يُفهمُ من السِّياقِ، فحُذِف المضاف وأُقيمَ المضافُ إليه مقامه، وتقديرُ الكلام: "جَامِعُ النَّاسِ لِلْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَحُذِفَ؛ لِكَوْنِ الْمُرَادِ ظَاهِرًا"[1]، ودلالةُ ذلك المبالغةُ في بيانِ هول ذلك اليوم.

وجْهُ نفي الرَّيب عن يوم القيامة، وقد ارتاب فيه كثير من النَّاس: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾:

النَّظرُ في ثبوتِ البعثِ باعتبارِه في نفسِه لا باعتبارِ تكذيبِ المكذِّبين

وجه نفي الرَّيب عن يوم القيامة في قولِه تعالى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ "أنَّه في نفسه حقٌّ لا ريب فيه، وإن وقع فيه ريب عند المكذِّبين به؛ فذلك لا يعتدُّ به؛ إذ هو خطأ منهم"[2]، "وَمَعْنَى: لَا رَيْبَ فِيهِ، لَا شَكَّ فِي وُجُودِهِ لِصِدْقِ مَنْ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ يَقَعُ لِلْمُكَذِّبِ بِهِ رَيْبٌ؛ فَهُوَ بِحَالِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَابَ فِيهِ"[3]، "وَنَفْوُهُ عَلَى طَرِيقَةِ نَفْيِ الْجِنْسِ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِارْتِيَابِ الْمُرْتَابِينَ"[4].

اتِّساعُ دلالةِ مَرْجع الهاءِ في قولِه: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾:

من جمال لغة القرآن: تحمُّل الضمير لأكثر من معنى، وذلك من خلال تدبُّرِ السِّياق، "فالْهَاءُ فِي ﴿فِيهِ﴾ تَعُودُ عَلَى الْيَوْمِ؛ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الْجَمْعِ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الْحِسَابِ أَوِ الْعَرْضِ"[5].

إيثارُ التعبير بقولِه: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ دون (لا شكَّ فيه):

نفتِ الآيةُ الرَّيبَ دون الشَّكِّ؛ لأنَّ الرَّيب يُمثِّل حالةً مرضيَّة تميل نحو الاتِّهام وظنِّ السُّوء، فالملاحظُ: أنَّ لفظ الرَّيب يأتي في سياق الحديث عن يوم القيامة، وأمر القيامة واضح لا لبس فيه، فلا يحتاج إلى دليل إلَّا عند ذوي القلوب المريضة، فما يقع منهم ماهو

(1) الرَّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/150.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 1/405.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/33.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/171.
(5) العكبري، التبيان: 1/240.

إلا حالة مرضيَّة تؤكِّد مرض قلوبهم وإنكارهم لوقوع البعث؛ لذلك كان التعبير بقوله: ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ دون: لا شكَّ.

دلالة موقع الجملة في الدُّعاء:

التَّذييل التَّعليليُّ دليلُ الإيمانِ والرَّدّ على أهلِ البُهتان

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ "تعليل لمضمون ما قبلها، أي: إنَّ الوفاء بالوعد شأن الإله سبحانه، وخُلفُه يخالف الألوهيَّة، كما أنّها تنافيه"(1)، فهي "تَعْلِيلٌ لِنَفْيِ الرَّيْبِ، أَيْ: لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِجَمْعِ النَّاسِ لَهُ، فَلَا يُخْلِفُ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ خَبَرَهُ"(2).

بَراعةُ الفاصلةِ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾:

بلاغةُ الالتفاتِ لتفخيمِ اسمِ اللهِ الأعظمِ والتَّلذُّذِ بالنُّطقِ به

إن حُمِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ على أنَّه من كلام الدَّاعين "يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الِالْتِفَاتِ؛ إِذْ هُوَ خُرُوجٌ مِنْ خِطَابٍ إِلَى غَيْبَةٍ لِمَا فِي ذِكْرِهِ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ مِنَ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْهَيْبَةِ، وَكَأَنَّهُمْ لَمَّا وَالَوُا الدُّعَاءَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَآ﴾، أَخْبَرُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ الْوَفِيُّ بِالْوَعْدِ"(3)، وهذا من لُطفِ الدُّعاء.

إظهارُ ما حقُّه الإضمارُ؛ للتَّعظيمِ

ويكون هذا من بابِ إظهارِ ما حقُّه الإضمار، فالأصلُ أن يكون النَّظمُ: إنَّه لا يُخلِفُ الميعادَ، لكن أتى بالإظهارِ؛ "لإبراز كمال التَّعظيم والإجلال النَّاشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل"(4)، وأفاد هذا الإظهارُ كذلك احتمالًا آخر وهو أن يكونَ من كلامِ اللهِ تعالى، فهو استئنافٌ، وإخبارٌ من اللهِ تعالى، "لَا مِنْ كَلَامِ الرَّاسِخِينَ الدَّاعِينَ"(5)، ولو أضمرَ لما احتملَ إلَّا أن يكون من كلامِ الدَّاعين فحسب.

فائدةُ ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾:

دلّت أداةُ التَّوكيدِ ﴿إِنَّ﴾ على نفي إخلافِ الميعادِ عن اللهِ تعالى،

(1) القنّوجي، فتح البيان: 2/192.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/171.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/34.
(4) القنّوجي، فتح البيان: 2/192.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/33.

والمعنى: إنَّ الإلهيَّة تنافي خلف الميعاد كقولك: إنَّ الجواد لا يخيب سائله"[1]، وفائدةُ التَّوكيدِ طلبُ الثباتِ في الاستمراريَّة في الدُّعاءِ، والبقاءُ في ميدان رجاءِ الاستجابةِ.

توجيه المتشابه اللَّفظيّ بين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ و﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾:

مـقـامُ الـهـيـبـةِ يقتضي إظـهـارَ الاسمِ الجليل، وفي مَقامِ الطَّلب جاءَ بالضِّمير

جاء الدُّعاءُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ بالغَيْبَةِ، وفي آخر السّورة: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 194] بالخطاب؛ "لأنَّ ما هنا متَّصلٌ بما قبْلَه، وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ اتِّصالًا لفظيًّا فقط، وما في آخرها متّصلٌ بما قبْلَه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: 194] اتّصالًا لفظيًّا ومعنويًّا؛ لتقدُّم لفظ الوعد"[2]، ثمَّ إنَّ "هذه الآية في مقام الهيبةِ، يعني: أنَّ الآية تقتضي الحشر والنشر؛ ليُنْتَصَف للمظلومين من الظّالمين، فكان ذكره باسمه الأعظم أوْلَى في هذا المقامِ، وفي تلك الآية مقام طلب العبدِ من ربِّه أن ينعم عليه بفضله، ويتجاوز عن سيِّئاته، إذْ لَمْ يَكُنِ المَقَامُ مَقَامَ الهيبةِ، فلا جرم قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: 194] "[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/339.
(2) الأنصاريّ، فتح الرحمن: 1/80.
(3) ابن عادل، اللُّباب: 5/47، والرَّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/151.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»